الدور الحضارى لدير سانت كاترين عبر العصور

د/ محمد حلمي محمد مصطفى
مدير عام البحوث والدراسات
لأثار جنوب سيناء – وزارة الآثار

ملخص البحث :

دير سانت كاترين واحد من أشهر وأهم المراكز الدينية والتاريخية والأثرية على مستوى العالم، يقع الدير بمحافظة جنوب سيناء بمدينة سانت كاترين التى طغت عليها تسمية الدير فعرفت باسمه، وكان هذا من تأثير الدور الحضارى للدير على الموقع .

عرف الدير عبر العصور بالعديد من المسميات التى عكست أهميته ودوره التاريخى والحضارى، كما ساعد دور الدير الدينى وموقعة المتطرف بمنطقة طور سيناء على قيامه بدور تاريخى وحضارى بالمنطقة حيث كان أقرب إلى الشهر العقارى للمكان فكان السجل التاريخى المدون به كل ما يخص ليس جنوب سيناء فقط بل سيناء عامة وبعض مناطق الشام ومصر، مر الدير بالعديد من المراحل التاريخية والحضارية التى انعكست على عمارته عبر العصور وكذلك من خلال مقتنياته التاريخية والأثرية التى جاءته على سبيل الإهداء من ملوك العالم المعمور فى تلك الفترة، لم يفرق فى ذلك بين واهب مسلم أو مسيحى غنى أو فقير فكان هذا مثالا للتعايش السلمى والتعاون الحضارى عبر العصور .

من خلال دراسة عمارة وكنوز دير سانت كاترين يمكن ببساطة وضع تصور واضح وجلى عن المنطقة عبر حقبها التاريخية المتعاقبة والتى تركت آثارها على جدران وملحقات الدير ببصمات واضحة جلية تعكس نمط عمارة وفنون تلك العصور الذى لا يمكن أن تخطئه أعين المتخصصين، لذلك فدراسة عمارة وكنوز دير سانت كاترين تعتبر مثلا واضحا لمحور دراسة التراث الحضارى والمعمارى والفنى والتاريخى عبر العصور .

الكلمات الدالة :

جنوب سيناء– طور سيناء– سانت كاترين– دير–القديسة كاترين– ايقونات

يعتبر دير سانت كاترين بجنوب سيناء نمطا أثريا تاريخيا فريدا من نوعه على مستوى العالم وليس سيناء خاصة ومصر عامة، حيث يشكل الدير نمطا متفرد في كونه وحدة برز من خلالها التعايش والتعاون بين الديانات السماوية الثلاث الكبرى اليهودية والمسيحية والإسلام، إذ تجمع جدران الدير وحدات معمارية وفنية تعبر تعبيرا صادقا عن التعاون والتضافر الحضاري عبر العصور لهذا الأثر الفريد فبداخله نجد شجرة العليقة المقدسة التي تجلى الله فيها لسيدنا موسى عليه السلام بالوادي المقدس طوى [إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ ۖ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى][1]، كذلك يوجد بالدير

كاتدرائية ضخمة خاصة بطائفة الروم الأرثوذكس، بالإضافة لمسجد جامع يعود للعصر الفاطمى فترة الخليفة الآمر بأحكام الله[٢] وعلى ذلك يمكن اعتبار الدير بالتأكيد مجمعا للأديان السماوية الكبرى الثلاث تعكس التعايش والتعاون السلمى بين أفراد تلك الديانات منذ تشييد الدير فى القرن السادس وحتى اليوم.

يقع دير سانت كاترين فى محافظة جنوب سيناء بجمهورية مصر العربية(خريطة١)، فى منطقة تعرف بوادى الدير نسبة إليه، حيث يشغل الدير وسط هذا الوادى تماما وتحيط به الجبال من ثلاث جهات (خريطة٢) الشمالية حيث جبل الدير أو جبل العبيد[٣]، الجنوبية جبل الصفصافة[٤]، الشرقية جبل التجلى أو " المناجاة"[٥]، أما الجهة الغربية فهى تفتح على وادى الشيخ وهو الوادى الممتد من مدخل مدينة سانت كاترين عند الطرفة وحتى قلب المدينة.

عرف دير سانت كاترين بعدة مسميات عبر تاريخه الطويل منذ القرن السادس وحتى اليوم وكانت تلك المسميات تعكس التطور التاريخى والحضارى للدير بالمنطقة، فقد عرف الدير عند تشييده بدير العذراء مريم[٦] نسبة لأقدم كنيسة شيدت بالموقع وهى المعروفة الأن بكنيسة العليقة المقدسة، إذ شيدت تلك الكنيسة فى القرن الرابع على يد الإمبراطورة هيلانة والدة الإمبراطور قسطنطين الكبير وعرفت وقتها بكنيسة العذراء مريم، كما عرف الدير كذلك بدير جبل الرب أو دير جبل الشريعة نسبة للجبل الذى تلقى من عليه نبى الله موسى ألواح شريعة بنى إسرائيل وكان أحد أسباب تشييد الدير بهذا الموقع، كذلك عرف الدير بدير طور سيناء[٧]أو دير جبل القمر نسبة لجبل موسى الذى عرف بجبل حوريب وهو الجبل الأشهر بتلك المنطقة باعتباره الجبل الذى ناجى نبى الله موسى ربه من أعلاه، وأخيرا عرف الدير بدير القديسة كاترين حوالى القرن العاشر أو الحادى عشر الميلادى، نسبة لشهيدة المسيحية الحسناء السكندرية ذوروثيا التي اشتهرت باسم كاترين والتى عذبت وقتلت بالإسكندرية فى أوائل القرن الرابع الميلادى، وتذكر تقاليد الدير بأن الملائكة قد حملت جسدها من الإسكندرية وقامت بدفنة فى سيناء أعلى أحد الجبال بها وهو الذى عرف بعد ذلك بجبل كاترين(لوحة١)، ثم تم نقل الجسد من أعلى الجبل إلى الدير بعد رؤية تجلت لمطران الدير بقيام الملائكة بنقل الجسد أعلى أحد جبال المنطقة، ومن وقتها تغير اسم الدير من دير طور سيناء إلى دير سانت كاترين[٨].

شيد دير سانت كاترين العامر على يد أحد أشهر أباطرة الدولة البيزنطية الإمبراطور جوستنيان[٩] خلال الفترة من(٥٤٨:٥٦٥)م وهى الفترة المحصورة ما بين وفاة الإمبراطورة تيودورا ووفاة الإمبراطور جوستنيان[١٠]، ليكون حصنا منيعا لحماية الرهبان فى تلك المنطقة من هجمات سكان الجبال من البرابرة، وكذلك تأمين حدود إمبراطوريته الشرقية ضد أية هجمات متوقعة من قبل الإمبراطورية الفارسية المجاورة[١١]

اكتسب الدير خلال تاريخه الطويل عبر العصور أهمية حضارية كبيرة توفرت له عبر عدة مقومات كان الدير خلالها عنصرا مؤثرا فى بعضها فى حين كان عنصرا متأثرا ببعضها الآخر، حيث أثر فى البداية الموقع على تشكيل أولويات الدير وإدارته عبر فترات تاريخية طويلة، إذ أدى موقع الدير فى تلك المنطقة القاحلة المتطرفة إلى محاولة الرهبان الاعتماد على أنفسهم فى البداية فى توفير احتياجاتهم اليومية الأساسية من مياه وطعام فعملوا على استصلاح العديد من الأودية المحيطة بهم ومحاولة زراعتها، وتعميرها بالسكن إضافة إلى حفر العديد من الآبار لاستنباط المياه من الأرض، وقد نجح الرهبان فى تلك المحاولات ليتمكنوا مع الوقت من الوقوف على شفير التحضر فى تلك الفترة المبكرة من التاريخ، فتمكنوا من خلال ذلك من تطوير نمط استقرارهم فى تلك المناطق والتى بدأت بالاستقرار الفردى بالجبال فيما عرف بالتوحد كما فى مناطق مغارات كهوف حمام فرعون براس سدر وكهوف جبل أبو صويرة فى الطور(لوحة٢)، وتلاه التوحد الجماعى والتواجد فى مجموعات للدفاع عن أنفسهم ويحيط بهم سور من الطوب اللبن بإمكانيات بسيطة كما فى وادى الأعوج بالطور(لوحة٣)، وتلاه التوحد الديرى أو حياة الشراكة وهى الفترة التى تدخلت فيها الدولة بعد اعتناقها للمسيحية لدعم الرهبان ومساعدتهم فقامت ببناء الأديرة من الحجر كما فى دير كاترين ودير يوحنا بالطور أو دير البنات وتل المحرض بفيران[١٢]، وعلى ذلك تمكن الرهبان من تكوين تجمعات رهبانية بطول سيناء وعرضها تعتبر مراكز هامة لدراسة التطور المعمارى والعمرانى فى العمارة والفنون البيزنطية فى تلك الفترة. وكانت ثانى مشاكل الرهبان هى محاولة السيطرة على الأعراب وقبائل البربر والعرب الساكنين فى الجبال المحيطة بهم والمستقرين حولهم بعد نجاح الرهبان فى استنباط المياه وزراعة الأرض، فدخل الرهبان فى صراع فى البداية مع العديد من تلك القبائل فى محاولة منهم للسيطرة والتعاون مع تلك القبائل وأن يأمنوا جانبهم وخاصة بعد الهجمات القوية التى تعرضت لها التجمعات الرهبانية وخاصة الدير وبعض أملاكة بالطور ووادى فيران، وساعد على الأمر قيام الإمبراطور جوستنيان باستجلاب مائتين من العائلات اليونانية بالإسكندرية وبلاد الفلاخ[١٣]وتسكينهم بالجانب الشرقي للدير للدفاع[١٤]عنه وسموا بالصبيان وصاروا بعد ذلك من أكبر قبائل المنطقة والتي عرفت بالجبالية[١٥]لاستقرارهم بالجبل المواجه للدير فصار هناك نوع من التعاون المشترك بين الدير وزواره من جانب والقبائل العربية التى تمركزت حول مناطق وأملاك الدير بسيناء باعتبارها مناطق خصبة وبها موارد للمياه، فسعى الدير إلى التعاون مع تلك القبائل من خلال استدراجها للمدنية بمفهومها فى تلك الفترة والبعد بها عن حياة الجبال والقسوة فى التعامل، فصارت هناك مجموعة من التفاهمات والاتفاقات والتى بمقتضاها اختصت كل قبيلة بنوع معين من التعاون مع الدير تحت مبدأ المصالح المشتركة والقائمة على عدم تمكن فصيل منهم من العيش منفردا فلا الدير يمكن أن يبقى بدون العرب ولا العرب قادرين على الاستمرار بدون مساعدة الدير لهم، فكان هناك من يقومون بتوريد احتياجات الدير كالملح

والحوت "السمك" وقد اختصت به قبيلة بنى واصل[١٦]، ومن لا يجيد القيام بتلك التوريدات فكان يقوم بعمل الغفارة أو الحراسة فيقوم بحراسة أملاك الدير وكرومه بطور سيناء وبمدينة الطور وفاران وهم من قبائل أولاد سعيد والصوالحة والعليقات[١٧]، ومنهم من يقوم بحراسة الدير نفسه بسانت كاترين ومقره الفرعى بالطور وهم من الصبيان من قبيلة الجبالية، ومن لا يجيد لا هذا ولا ذاك كان يعمل كدليل للحجاج الواردين لكاترين من وإلى الطور أو من وإلى مصر وكانوا أفرادا بنسب متفاوتة من عدة قبائل مثل الصوالحة والعليقات والجبالية[١٨].

وبذلك أصبح الدير عنصرا للجذب الحضارى والمعمارى فى المنطقة وأدى وجود الرهبان بالمنطقة إلى استقرارها وسيطر الرهبان بالتعاون مع القبائل العربية بالمنطقة على المكان فأصبح مؤمنا بعد أن كان صحراء جرداء يخشى العبور منها.

اكتسب الدير عبر الزمن أهمية متواصلة فكان أن لجأ الدير وقيادته إلى التعاون مع السلطات المركزية فى مصر على اختلاف أنواعها وتوجهاتها الدينية، فنراه تارة يلجأ فى البداية للإمبراطور جوستنيان للحصول على تأمين منه فكان أن أرسل إليهم الحرس السابق الإشارة إليهم، وبعد ظهور الإسلام لجأ الرهبان للنبى صلى الله عليه وسلم للحصول على وثيقة تؤمنهم ومحيطهم من تعديات الأعراب غير المسيطر عليهم (لوحة٤) وغيرهم ممن يرون فى الرهبان خاصة أو غير المسلمين عامة كفارا يجب القضاء عليهم والتقرب إلى الله بالجهاد فيهم، فكان أن أعطى النبى صلى الله عليه وسلم للرهبان أمانا عاما لهم " .... كتبه لأهل ملته ولجميع من "يتخل" ينتحل دين النصرانية فى مشارق الأرض ومغاربها قريبها وبعيدها....." ولكنائسهم وصلبانهم لا يتعدى عليهم أحد ولا ياخذ منهم ضرائب على ماكلهم ومشربهم ويؤمنوا فى الطرقات "..... ولا يهدم بيت من بيوت كنايسهم وبيعهم ولا يدخل شئ من مال كنايسهم فى بناء مسجد ولا فى منازل المسلمين لا يلزمهم مما يزرعوه لا خراج ولا عشر ولا يشاطرون لكونه برسم افواههم ..... ولا يحمل على الرهبان والاساقفة ولا من يتعبد جزية ولا غرامة....." بل ذهب النبى فى أمانة إلى أكثر من ذلك ليضرب المثل الأعلى فى الأخلاق عبر العصور فذكر " ..... ولا يكلف أحد منهم شططا ولا يجادلوا الا بالتى هى احسن ويحفظ لهم جناح الرحمة ..... وإن صارت النصرانية عند المسلمين فعليهم برضاها وتمكينها من الصلاة فى بيعها ولا يحيل بينها وبين هواء دينها ..... "[١٩]، وكان لهذا العهد دورا كبيرا فى الحفاظ على الدير واستمراره فى أداء رسالته الدينية والحضارية فى تلك البقعة النائية عبر العصور وحتى اليوم، وقد حرص الرهبان على تجديد هذا العهد عبر الزمن مع كل أسرة حاكمة تتعاقب على الحكم فى مصر، فعملوا على تجديد هذا العهد من: الخلفاء الراشدين والأمويين والعباسيين وإن لم يصلنا للأسف الشديد حتى اليوم أى وثائق من تلك الفترات وإن وصلتنا إشارات من وثائق تالية تشير فى سياقها إلى وثائق من تلك الفترات" ....انه عرض لدى حضرته الشريفة المشار اليها حين كان ركابه الشريف بالديار المصرية عهد شريف نبوى وسجلات

ومناشير من سالف الزمان مستمر حكمها الى ذلك الاوان من الخلفاء الراشدين والملوك والسلاطين توكد بعضها بعضا وتؤسس فرعها اصلا باعتماد كلا منها بان يحملوا على ما بأيديهم من المسامحات ..... "[٢٠]، وأن أقدم ما وصلنا من تلك الوثائق التى تقوم على تجديد عهد النبى صلى الله عليه وسلم للرهبان يرجع للعصر الفاطمى، وعلى الرغم من كون الفاطميين شيعة إسماعيلية مختلفين مذهبيا مع العباسيين والأمويين السنة، فأن ذلك لم يمثل فارقا يذكر لدى الرهبان والدير فلجئوا إلى الخلفاء الفاطميين لتجديد عهود الأمان لديهم وتأمينهم من العربان وقطاع الطريق، فوصلتنا وثائق من عهد كل من الخلفاء :الآمر، الحافظ، الفائز، الظافر[٢١]، فى بعضها إشارات لوثائق أمان من العهد الحاكمى[٢٢]، ومن بعهدهم ظهرت الوثائق الأيوبية فوصلتنا وثائق من عهد الملك العادل أبو بكر وابنه الملك الكامل محمد بن العادل[٢٣]، ولم يختلف المماليك والعثمانيون فى حرصهم على تأمين الدير وزوراه ورهبانه عن سالفيهم فتعددت الوثائق والمناشير بالعربية والتركية للوصول لنفس الغرض، ومن خلال استعراض تلك الوثائق وغيرها اتضح أنها تشير إلى نفس ما أشار إليه عهد النبى صلى الله عليه وسلم من الحرص على الرهبان وسلامتهم وكف الأذى عنهم.

ولم يحظ الدير خلال تاريخه الطويل باهتمام السلطات المصرية فقط بل شغل اهتمام العديد من الملوك والسلاطين فى العالم المعمور فى تلك الفترة منذ إنشائه وحتى اليوم، فقد استقبل الدير العديد من رهبانه من كافة أنحاء العالم ففيه رهبان من مصر وأمريكا واليونان وقبرص وروسيا وإنجلترا وألمانيا ولبنان والأردن وغيرها على مر تاريخه، وحاز اهتمام كافة طوائف المسيحيين فى العالم وليس الروم الأرثوذكس فقط كما أسس لعلاقات قوية ومتينة مع العديد من المراكز الدينية الأرثوذكسية فى العالم وخاصة فى روسيا واليونان وألمانيا وأنطاكيه، فنرى الصليبيين اللاتين القادمين إلى الشرق فيما عرف بالحروب الصليبية يبجلون هذا الدير رغم اختلافهم المذهبى معه، فيفدون إليه زوارا وحجاجا يلتمسون البركة من رهبانه ويتبادلون معهم الثقافة والخبرات العلمية والثقافية وهو ما يبدوا جليا فيما تركوه من تأثيرات حضارية وثقافية لدى الرهبان، فنجد العديد من القطع الفنية بالدير والتى تأثرت بالفكر الكاثوليكى القادم من خلال الفرسان والجنود الصليبيين المشاركين فى تلك الحروب، حيث خصص بالدير كنيسة خاصة باللاتين يقيمون فيها شعائرهم بحرية بعيدا عن كنيسة الدير الرئيسية وهى المعروفة اليوم بحجرة المائدة للرهبان، وقد سجل على جدرانها العديد من الشعارات الخاصة بالفرق العسكرية الصليبية التى وفدت إلى الشرق خلال تلك الحروب[٢٤](لوحات٥-٦)، كما تأثرت المنتجات الفنية التى أقيمت بالدير بتلك التأثيرات فنجد العديد من الأيقونات بالدير وخاصة تلك التى تعود للفترة من أواخر القرن الثانى عشر وحتى الرابع عشر الميلاديين وقد ظهرت عليها التأثيرات اللاتينية بوضوح[٢٥](لوحات٧-٨) بل لم يري ملوك تلك المناطق أى غضاضة من تلمس البركة وطلب صلوات آباء الدير من الرهبان رغم هذا الاختلاف

الدينى الواضح فنرى شارل السادس ملك فرنسا"١٣٨٠– ١٤٢٢"م يهدى الدير كأسا من الفضة المموهة بالذهب منقوش عليه عبارة " شارل السادس ملك الفرنجة صلوا من أجلى "[٢٦] (لوحة٩).

كما حرص ملوك وزعماء العالم على الإهداء للدير وطلب بركة رهبانه والعمل على مساعدة الدير سواء ماديا أو معنويا، فقام الدير بتشييد مقرات وفروع له فى أغلب مناطق العالم لتدير شئون الدير خارجيا وتسهيل الحصول ووصول المساعدات المالية والعينية للدير بسيناء بشكل سهل وميسر وخاصة أن تلك المساعدات كانت معفاة من الجمارك فى الموانئ المصرية تبعا لامتيازات الدير، وقد أهتمت بعض الدول بشكل خاص بالدير وخاصة روسيا فى الفترة القيصرية التى اعتبرت نفسها وريثة الإمبراطورية البيزنطية وحامية الأرثوذكسية فى العالم الحديث، فحرصت روسيا ومناطق شرق أوروبا على تذليل العقبات أمام الدير ومده بالأموال والمساعدات العينية بشكل مستمر ومتوال، ويشهد بذلك العديد من القطع الفنية بالدير، من مختلف المواد الخام والتى من أهمها قطعة من النسيج تمثل النبى موسى وشجرة العليقة والدير ومطرزة بخيوط الذهب والفضة وترجع للقرن الثامن عشر الميلادى من روسيا(لوحة١٠)، وأخرى معدنية على شكل غطاء من الفضة لأحد الأناجيل مزخرف بالحفر والحز والطرق من رومانيا ومؤرخ "١٥٦٨– ١٥٧٧"م من قبل الأمير الكسندر الثاني ميرسيا[٢٧](لوحة١١)، وغيرها من القطع الفنية التى تعكس التأثيرات الفنية الأوروبية والروسية التى انتقلت إلى سيناء عبر التبادل الثقافى والفنى بين تلك المناطق.

كما مثلت شعيرة الحج إلى جبل الشريعة من قبل العديد من المسيحيين على مستوى العالم وخاصة الروس منهم واليونانيين دورا كبيرا فى التبادل الثقافى والحضارى بين مناطق العالم والدير وهى التأثيرات التى انتقلت بدورها من الدير إلى المناطق المحيطة به عبر الزمن والعصور، حيث ساعد تدافع الحجاج من مناطق العالم المختلفة إلى الدير على التنوع الزخرفى والمعمارى للدير بجانب التنوع الفنى فى تحفة الفنية ، فنجد مثلا أن أرضية كنيسة الدير الرئيسية والمغطاة بالرخام يبدو ظاهرا فيها التأثيرات المملوكية والعثمانية كما فى بيوت القاهرة وتبدو المسحة السورية غالبة عليها وهو ما يؤكده النص التذكارى لتلك الأرضية أنها من عمل أحد خبراء المهنة من سوريا وبالأخص من دمشق" ...عمل المعلم نصر الله الشاغورى الدمشقى ....."[٢٨](لوحة١٢)، كما يعبر كل من عرش المطران وحجاب الكنيسة الخشبى من كريت على مدى ما وصلته الزخارف المرسومة والمحفورة والملونة من دقة وتنوع خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر الميلاديين فى كونها متأثرة بشكل واضح وكامل بالزخرفة البيزنطية من حيث الألوان والوحدات الزخرفية (لوحات١٣– ١٤)، كما تشير العديد من الإصلاحات بالدير أنها قد تمت على يد عمال ومعلمين من الشام وخاصة من طرابلس الشام أو حمص أو دمشق وغيرها(لوحات١٥–١٦)، كذلك تشير التجديدات التى تمت فى كنيسة العليقة بالدير على أن جدرانها قد كسيت بالخزف التركى على مرحلتين الأولى وترجع لعام ١٦٨٠م وهى قادمة من دمشق (لوحة١٧)، فى حين ترجع قطع المرحلة الثانية

إلى عام ١٧٧٠م وهى قادمة من حمص (لوحة١٨)، وذلك من خلال نصوص تذكارية يونانية وعربية بجدران كنيسة العليقة[٢٩]، وهو ما يؤكد التواصل والتقارب المتبادل بين مصر وبلدان الشام فى تلك الفترة، فكانت سيناء كالمعبر الذى عبرت من عليه تلك التأثيرات والثقافات من وإلى مصر، وتشهد حركة الترجمة الكبيرة التى شهدها الدير لنقل مؤلفات رهبانة ووثائقه من اللغات الغربية إلى العربية التطور الثقافى والحضارى الكبير حيث شهد القرن التاسع الميلادى بداية ظهور الترجمات العربية بالدير جنبا إلى جنب مع اللغات الأخرى من يونانية وغيرها، ومع بدايات القرن العاشر تخلصت اللغة العربية من شركائها فى المجال فكانت هى اللغة الوحيدة للكتابة تقريبا بالدير، وهو ما يعكس تمكن العنصر العربى من مصر ومناطقها فى تلك الفترة، بل وتمكنه داخل الدير نفسه.

وليس أدل على أهمية الدير ودوره الثقافى فى تطوير المحيط حوله عبر العصور من حرص السلطات المتعاقبة على مصر على ضمان أمان الدير ورهبانة وتجديد الفرمانات الدالة على ذلك بل وصل الأمر إلى قيام السلطات الفاطمية بتشييد مسجد جامع بتلك البقعة النائية على يد أحد أمراء الحرب الفاطميين المشهورين: الأمير أبو منصور أنوشتكين الآمرى أحد قواد الخليفة الآمر، والذى قد قام بزيارة للمنطقة فعمل على تخليد ذكراه بمجموعة من المنشآت الدينية فى غالبها، فكان هذا المسجد الجامع بدير سانت كاترين أحد تلك المنشآت التى شيدها هذا الأمير بتلك البقعة، بل وأهداه منبرا من الخشب العزيزى (لوحة١٩)، وهو انعكاس لاهتمام السلطة المركزية بسيناء والدير والقاطنين فيه والمحيطين به من البدو والعرب، ومن المعلوم أن مناطق سانت كاترين والطور فى الماضى كانت تخضع لما يسمى قواد الحصون الطورية "الحصون الجبلية" ومقرهم بمدينة الطور والتي خرجت أغلب الفرامانات لقواد تلك الحصون برعاية الدير ورهبانه وتذليل العقبات أمامهم ومنع التشويش عليهم[٣٠].

يعد الدير محط أنظار العديد والعديد من الباحثين والدارسين للحضارة والتاريخ البيزنطى والمسيحى المبكر، سواء فى العمارة أو الفنون أو فى الكتابات، حيث يحتفظ الدير بمجموعة فنية رائعة من الأيقونات البيزنطية المبكرة والتى ترجع للفترة ما بين القرن السادس وحتى القرن التاسع عشر، وفى ذلك يعبر الدير عن ميزة متفردة من كونه يشتمل على مجموعة نادرة من الأيقونات البيزنطية والتى تعود للفترة من القرن الثامن وحتى العاشر وهى الفترة التى اشتهرت فى التاريخ البيزنطى بحروب الأيقونات، والتى دمر على أثرها العديد من الكنوز الأيقونية المسيحية على مستوى العالم ولم ينج من ذلك إلا مناطق نادرة كان منها دير سانت كاترين لكونه فى تلك الفترة تحت الحكم الإسلامى فلم يطبق به القرار الإمبراطورى[٣١].

ومن هنا فنظرة واحده لهذا الأثر الخالد تدل بشكل أكيد على التطور التراثى المعمارى والفنى والحضارى له وللمحيط حولة عبر العصور، فقد اتخذ الدير عند إنشائه فى القرن السادس

الميلادى روح عصره فجاء على هيئة وشكل الحصون الرومانية فى العصور الوسطى وهو ما يبدو من ضخامة الأسوار وارتفاعها والممر الموجود داخل السور للحماية ويدور حول الدير كما فى أسوار القاهرة القديمة، ومن الوسائل الدفاعية التى شغلت الواجهة الرئيسية للدير من وجود السقاطات ومزاغل السهام، وتطور النظام الدفاعى المعمارى للدير عبر العصور وظهر ذلك فى القيام بتوسيع بعض فتحات المزاغل لتستقبل المدفعية لتحل محل السهام مع تطور العصر(لوحة٢٠)، كما شهد النظام الدفاعى للدير تطورا آخر حيث يظهر الاختلاف فى أشكال الأبراج الدفاعية بالدير ويبدو واضحا فى بعضها وخاصة بعض أبراج الجدار الشمالى حيث برج الزاوية الثلاث أرباع الدائرة وكذلك برجى سان جورج بوسط الجدار حيث يختلفان فى الشكل عن الأبراج الأخرى فى باقى الأسوار(لوحات٢٣-٢٤)، وذلك حيث أنهم من تجديدات الحملة الفرنسية أثناء احتلالها لمصر(١٧٩٨-١٨٠١)م (لوحة٢٥)، كذلك شهدت ملحقات الدير الداخلية عمليات تطوير عبر الزمن وطبقا لمتطلبات العصر دون أن تؤثر على المظهر التاريخى والحضارى للدير عبر العصور، بل يعتبر الدير من أقدم الأديرة التى لم تدخل عليها تعديلات جوهرية تغير من شكلها العام من وقت إنشائها وحتى اليوم، ويعتبر مقر إقامة مطران الدير، وكذلك مبنى مكتبة الدير الحالية من أهم التجديدات والإضافات التى أدخلت على الدير، حيث يشغل مقر إقامة المطران حاليا جزءا من أقدم أجزاء الدير وهو جزء من البرج الذى شيدته الإمبراطورة هيلانة فى زيارتها الشهيرة للمنطقة فى القرن الرابع مع كنيسة العذراء(شكلى١-٢)، أما المكتبة فقد شيد مبناها فى ستينيات القرن الفائت لتشغل كامل الجدار الجنوبي للسور الجوستنيانى للدير وتستغل لحفظ كتبه ووثائقه.

وقد ظل الدير يحوز هذا الاهتمام والتقدير من البدو الذى أصبح الدير بالنسبة لهم كالشهر العقارى يدونون به كل ما يدور فى حياتهم وما يتعرضون له من المشاكل أو الاتفاقيات مع الرهبان أو مع بعضهم البعض، أو من السلطات المركزية القائمة بمصر فنرى استمرار اهتمام الدولة بالمكان والموقع وحرصها على الحفاظ عليه حتى اليوم وهو ما ترجم بصدور قرار السيد وزير الثقافة رقم(٨٥) فى عام ١٩٩٢م بتسجيل الدير كأثر بيزنطي من قبل المجلس الأعلى للآثار، ثم تلا ذلك صدور قرار السيد وزير الثقافة (رئيس المجلس الأعلى للآثار) رقم (٥٠٩) فى عام ١٩٩٧م باعتماد خطوط تجميل حول دير من جميع جهاته للحفاظ على بانوراما المنطقة، وتعتبر الأراضى الواقعة داخل خطوط التجميل أرضا أثرية وقد كان قرار تسجيل الدير وقرار اعتماد خطوط التجميل المشار إليهما طبقا لقانون حماية الآثار رقم ١١٧ فى عام١٩٨٣م، وقد أدى هذا الاهتمام من الدولة ممثلا فى المجلس الأعلى للآثار وجهوده الكبيرة إلى نجاح مصر فى تسجيل هذا الأثر الهام كتراث عالمى للبشرية جمعاء وذلك فى جلسة اليونسكو رقم(٢٦ لسنة ٢٠٠٢) على أساس معايير ثقافيه، كما حرصت وزارة الآثار منذ تسجيل الدير على رعايته وحل مشكلاته فكانت أعمال

الحفائر والمسح الأثرى والترميمات المتتالية التى تقوم بها الوزارة بالتعاون مع إدارة الدير والعديد من بيوت الخبرة الدولية لترميم كنوز الدير والحفاظ عليها، كذلك حرصت الوزارة بالتنسيق مع وزارة الخارجية على تنظيم العديد من المعارض الخارجية لتعرض من خلالها كنوز الدير للعالم لتكون نافذة يطل بها المهتمين والدارسين على تلك الكنوز ولتكون دافعا لهم من أجل القيام بزيارة الدير للارتقاء بالسياحة وأعداد السياح، إذ يعتبر الدير المصدر الرئيسى لعمل حوالى أربعة آلاف فرد بكاترين من قبيلة الجبالية، ويمتاز الدير بأن زواره يجمعون ما بين المهتمين بالسياحة الدينية حيث الحج لدير كاترين، والثقافية من دراسة النماذج المبكرة فى الفنون والعمارة البيزنطية المحفوظة بالدير، والرياضية فى رياضة تسلق الجبال فى جبال المنطقة، كما أن المنطقة تجذب مختلف الديانات من يهودية ومسيحية وإسلامية وغيرهم، كذلك سعت الوزارة إلى التعاون مع كافة منظمات المجتمع المدنى والدولى فى الحفاظ على الدير وتراثه وتاريخه وحمايته فكان التعاون الدولى المثمر فى الفترة من علم ٢٠٠٨ وحتى٢٠١٠ مع الاتحاد الأوروبى فى أعمال ترميم وتطوير أسوار الدير والمنطقة المحيطة به ووضع خطة بالتنسيق مع "ICOM "لإدارة المنطقة.

النتـــائـج:

١. وضح من خلال البحث الدور الثقافى والتنموى الكبير لدير سانت كاترين فى المنطقة
٢. عكس البحث مدى أهمية الدير فى المحيط حوله بالنسبة للقبائل المحيطة به والمستقرة حوله
٣. أوضح البحث الدور الكبير الذى لعبه الدير فى استقرار تلك القبائل العربية بالمنطقة ونقل المنطقة من الدور البدائى القفر إلى المستوى الحضارى الآمن

٤. أوضح البحث العلاقة الفريدة التى نشأت ما بين الدير ورهبانه والقبائل العربية المحيطة ومدى ما وفرته تلك القبائل للدير من أمن وحماية فى مقابل العمل والاستقرار حوله

٥. عكس البحث الاهتمام المتوالى الذى حظى به الدير نتيجة لدوره الثقافى والتاريخى والتنموى الهام عبر العصور من السلطات الحاكمة فى مصر على مر تاريخها

٦. ظهر التطور التاريخى والتنموى للدير عبر العصور من خلال تطور وحداته ونمطه الاستقرارى بالمكان، وكذلك تطوره الفنى من خلال الانفتاح على الثقافات الخارجية والواردة إليه عبر زواره

٧. أبرز البحث التسامح والتعايش السلمى والتعاون القائم بين الديانات السماوية الكبرى من يهودية ومسيحية وإسلام فى تلك البقعة والتى تعبر أفضل تعبير عن روح مصر الحضارية والتى لم ولن تتغير عبر العصور لكونها من موروثات الشخصية المصرية عبر تاريخها وعصورها

٨. أبرز البحث اهتمام دول العالم المختلفة بالدير ودوره الثقافى عبر العصور كأحد الرموز البيزنطية الدينية الأرثوذكسية المبكرة على مستوى العالم

٩. أبرز البحث الاهتمام الذى حظى به الدير من ملوك ورؤساء العالم المعمور عبر تاريخه سواء من مسلمين ومسيحيين، من خلال الإهداءات التى أهديت للدير عبر العصور

١٠. أظهر البحث مدى اهتمام الدولة ممثلة فى وزارة الآثار بهذا الأثر التاريخى الفريد وحرصها على الحفاظ عليه بكافة الوسائل القانونية المتاحة وتذليل كافة العقبات التى تواجهه

١١. ألقى البحث الضوء على التعاون الوثيق بين الدولة ممثلة فى وزارة الآثار وكافة الجهات الدولية والعالمية المتخصصة والمهتمة بالتراث الحضارى البشرى عبر العصور من اليونسكو و"ICOM" والاتحاد الأوربي فى الحفاظ على الدير وتراثه.

ملحق الخرائط واللوحات والأشكال :

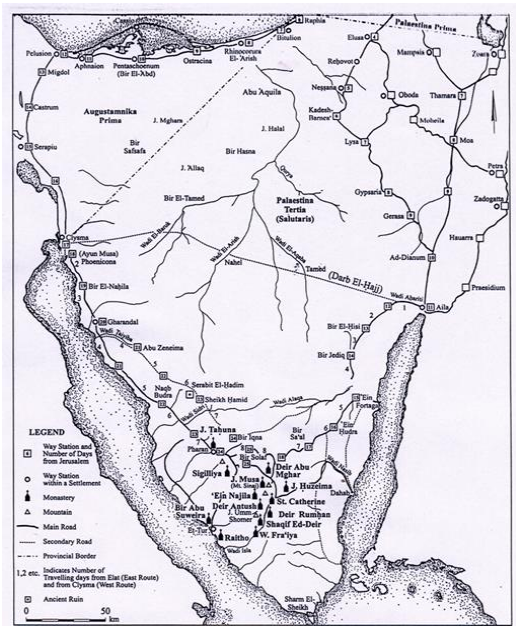

خريطة ١

مناطق التركز الرهبانى بجنوب سيناء

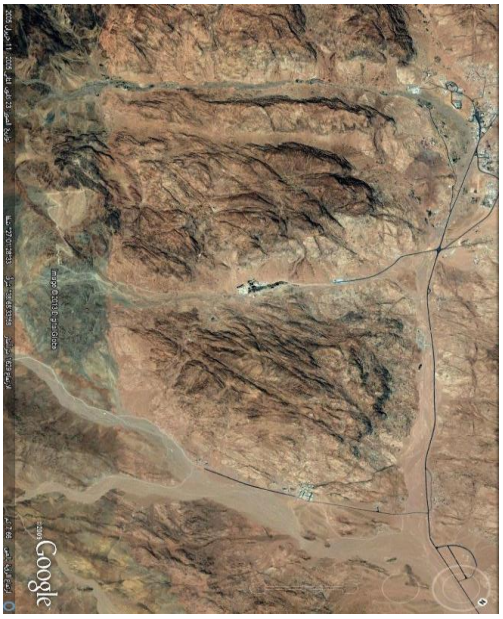

خريطة ٢

دير كاترين والجبال المحيطة به

Uzi Dhari: Monastic Settlements in South Sinai.p١٣

لوحة ١

أيقونة سانت كاترين ومناظر من حياتها

"لوحة ٢

قلايات جبل أبو صويرة بالطور "الفردية

لوحة ٣

مجمع وادى الأعوج بالطور "التوحد الجماعى"

لوحة ٤

العهدة المحمدية لرهبان الدير

لوحة ٥

شعار الملك ريتشارد قلب الأسد

لوحة ٦

شعار أحد الفرق الفرنسية بالحروب الصليبية

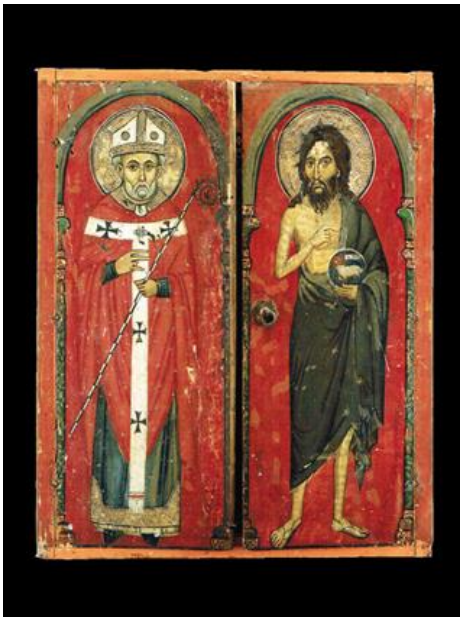

لوحة ٧

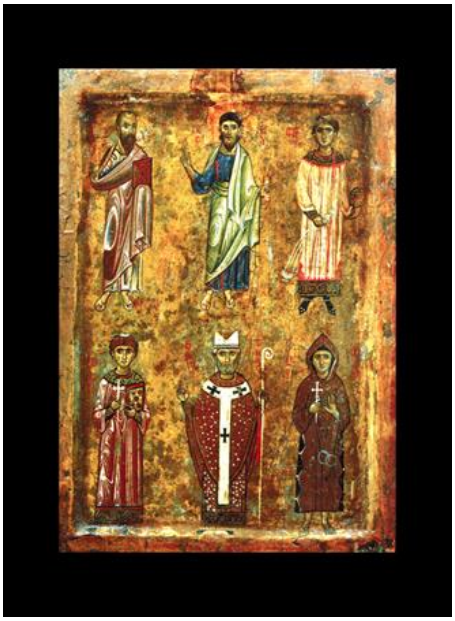

لوحة ٨

التأثيرات اللاتينية الكاثوليكية الفنية على الأيقونات البيزنطية بدير كاترين خلال القرن الرابع عشر

لوحة ٩

كأس شارل السادس ملك فرنسا ١٤١٥م

لوحة ١٠

نسيج من روسيا يصور قصة حياة كاترين- القرن الثامن عشر

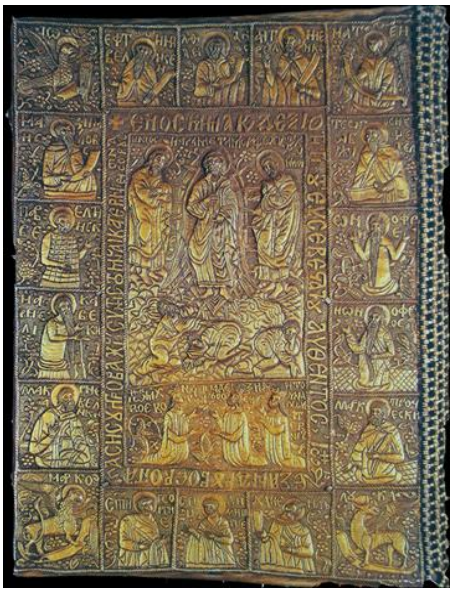

لوحة ١١

غلاف فضى لأحد الأناجيل رومانيا ١٥٧٠م

لوحة ١٢

نص تجديد بلاطات كنيسة التجلى ١٧١٥م

لوحة ١٣

عرش المطران من خشب الأرز-كريت القرن الثامن عشر الميلادى

لوحة ١٤

الحجاب الخشبي لكنيسة التجلى ١٦١٢م

لوحة ١٥

تجديدات الحجاج الشوام بجدران الدير الداخلية ١٨٤٠م

لوحة ١٦

تجديدات الحجاج الشوام بجدران الدير الخارجية

لوحة ١٧

نص تجديد بلاطات جدران كنيسة العليقة-من دمشق ١٦٨٠م

لوحة ١٨

نص تجديد بلاطات كنيسة العليقة-من حمص ١٧٧٧م

لوحة ١٩

المنبر الخشبى للجامع الفاطمى بالدير ١١٠٦م

لوحة ٢٠

الواجهة الغربية للدير وبها السقاطة أعلى المدخل

لوحة ٢١

الأبراج الثلاث أرباع الدائرة بالركن الشرقى

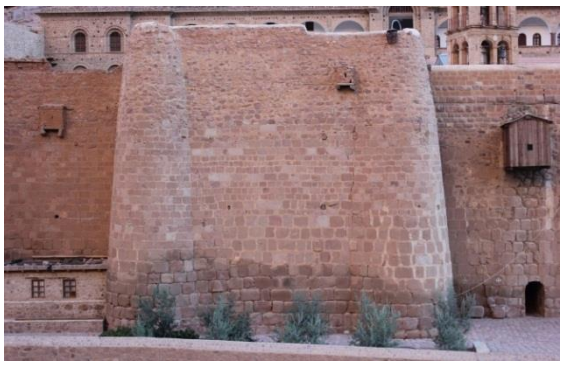

لوحة ٢٢

"برج نابليون" ووسط الجدار الشمالى "برج سان جورج" من تجديدات الحملة الفرنسية ١٨٠١م

لوحة ٢٣

نص تجديد برج سان جورج من الأساس ومؤرخ ١٨٠١م

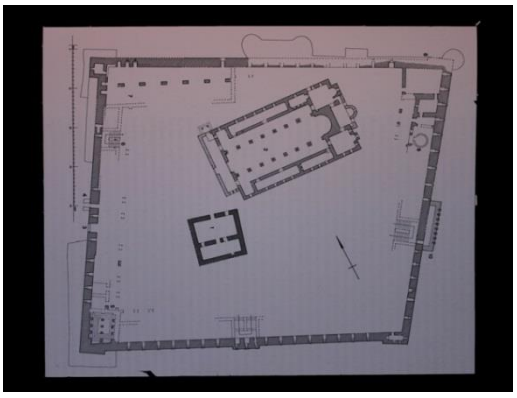

شكل ١

التخطيط الأولى لدير كاترين وبه برج هيلانة من القرن الرابع الميلادى

Konstantinos Manafis: Sinai Treasures of the Monastery Saint Catherine.p٣١

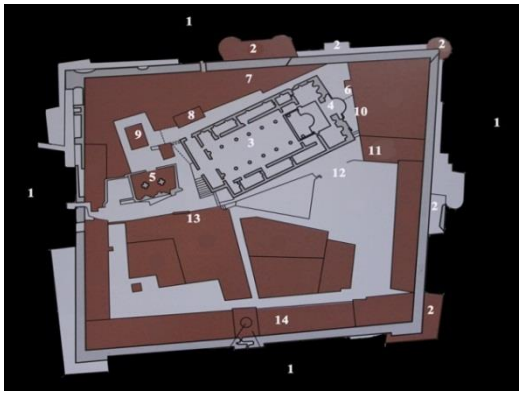

شكل ٢

التخطيط الحالى للدير وموضح به ملحقاتة

Corina Rossi: The Treasures of the Monastery of Saint Catherine.p٨٧

حواشي البحث :

[١]- القران الكريم – سورة طه آية ١٢

[٢]- مصطفى، محمد حلمى محمد (٢٠٠٦): التحف الإسلامية والمسيحية بدير سانت كاترين من العصر الفاطمى حتى نهاية العصر العثمانى، مخطوط رسالة ماجستير كلية الآداب جامعة حلوان، ص٦١ هامش ١

[٣]– عرف هذا الجبل باسم جبل العبيد نسبة للعبيد الذين استقدمهم الأمبراطور جوستنيان فى القرن السادس للسكن بجوار الدير والدفاع عنه وحمايتة فعرفوا بالجبالية نسبة للجبل او بالصبيان، وعرف الجبل بهم فعرف بجبل العبيد.

مؤلف مجهول : وصف دير طور سيناء، مكتبة سان جوزيف لبنان ، مخطوط ١٧ عربىمؤرخ١٧١٠،ص ص١٠١٠–١٠١١

[٤]– عرف هذا الجبل بجبل الصفصافة لوجود صفصافة ضخمة تشغل قمته – ويتصل هذا الجبل بجبل موسى من الجهة الشرقية.

شقير، نعوم (١٩٩٥): تاريخ سيناء القديم والحديث، دير سانت كاترين، ص٤٦

[٥]– عرف بهذا الأسم حيث يعتقد انه الجبل الذى تجلى الله عليه لنبيه موسى فجعلة دكا والجبل على راس وادى الشيخ وهو أسود ركامى .

شقير: تاريخ سيناء، ص٤٥

[٦]-Brouskari، Ersi&Others(٢٠٠٩):Egeria Monuments of Faith، Hellenic Ministry of Culture،p٧٧

فخري،احمد وآخرين(١٩٨٢): موسوعة سيناء، الهيئة المصريه العامة للكتاب، القاهرة،ص١١٨

[٧]– طور سيناء وتعنى جبل القمر حيث كلمة الطور لغة هى الجبل، أما سيناء فهى غالبا مشتقة من كلمة "سن" والخاصة باله القمر لدىالساميين والفراعنة وكان مشهور ويعبد بتلك المنطقة، وهو سبب تسمية سيناء بأرض القمر.

Mokhtar،Gamal (١٩٩٥) : The history of Sinai ، article in " Sinai the Site، the History " Mobil Egypt، pp٢٥-٢٦

العدل، صبرى احمد (٢٠٠٤): سيناء فى التاريخ الحديث، دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة، ص١٩–٢٠

[٨]– كرياكوس والآب افرام(بدون): القديسة كاترين، دير سانت كاترين، ص ٣٨

باليوراس، اثاناسيوس١٩٨٦): دير سيناء المقدس، اثينا، ص ص٢٩–٣٠

فخري: موسوعة سيناء، ص ١١٨

بابايوانو، افانجلوس(بدون): دير طور سيناء، ترجمة صليبا خورى وفيليب دحابره، ص١٣

مظهر، حسن(١٩٦٦): "تاريخ القديسة كاترين"، **مجلة السياحة**، عدد ١١٦

Safra، Jacob E.(١٩٩٨): The new encyclopedia Britannica ،Chicago،vol ٢،p٩٥٥

خليل، وهيب عزيز (١٩٧٩): كاترين قديسة سيناء المصرية، سلسلة سير القديسين، كنيسة القديسة دميانه بالهرم.

[٩]– الشيخ، محمد محمد مرسى (١٩٩٤): تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية ١٩٩٤، ص ص٣٩–٥٦

١٠-Mango، Cyril(٢٠١١): "Ihor Sevcenko and the Sinai Monastery"، Article in St Catherine's Monastery at Mount Sinai: Its Manuscripts and their Conservation، Papers given in memory of professor IhorSevcenko ٢٧November ٢٠١٠ ، SteliosIoannou Centre for Classical Byzantine Studies، University of Oxford، Pp١-٣

١١- Gabra، Gawdat(١٩٩٥): The Religious Heritage of Sinai ، article in "Sinai the Site، the History" Mobil Egypt، pp٨٨- ٩١

[١٢]– كانت تلك الملاحظات اعتمادا على اعمال الحفائر والمسح الأثرى المتعددة التى تم إجرائها فى مناطق الطور وراس سدر وسانت كاترين وفيران بمعرفة منطقة أثار جنوب سيناء.

مصطفى، محمد حلمى: تقارير أعمال الحفائر والمسح الأثرى بمناطق أثار جنوب سيناء، مواسم متعددة بدأ من عام ٢٠٠٠، المجلس الأعلى للأثار، غير منشورة .

[١٣]– بلاد الفلاخ قديما هى منطقة رومانيا الان وعرفت قديما باسم بلاد الفلاخ أو بلاد ولاكيا أو ولاشيا

مانتران، روبير (١٩٩٣): تاريخ الدولة العثمانية، ترجمة بشير السباعى، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، القاهرة، ص١٢٨

http://ar.wikipedia.org/wiki/%D٩٪٨٥%D٨٪AD%D٩٪٨٥%D٨٪AF_%D٨٪A٧%D٩٪٨٤%D٩٪٨١%D٨٪A٧%D٨٪AA%D٨٪AD

[١٤]– تاريخ دير طور سيناء، مكتبة دير سانت كاترين، مخطوط رقم ٦٩٢عربى، مؤرخ بـ ١٨٢٥م، ص٣

شقير: تاريخ سيناء، ص٥٢١

[١٥]– عوض الله، محمد فتحى (١٩٩٤): الدير والجبل والجبالية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ص ص١٠٩-١٤٩

[١٦]– مخطوط رقم ١٨٧عربى، مكتبة دير سانت كاترين، مؤرخ ب ٨٦٦هـ – اكتوبر ١١٤٦١ سبتمبر ١٤٦٢م

[١٧]– مخطوط رقم ١٨٦عربى، مكتبة دير سانت كاترين، مؤرخ ب الجمعة ٧ محرم الحرام سنة ٨٢٢هـ – ٣ فبراير ١٤١٩ م

[١٨]– العدل : سيناء فى التاريخ الحديث ، ص٢٣٧

[١٩]– مخطوط رقم ١عربى، مكتبة دير سانت كاترين، مؤرخ بـ ١١٥٠هـ

[٢٠]– مخطوط رقم ١٩٠عربى، مكتبة دير سانت كاترين، مؤرخ بـ ٢٢ جمادى الأولى ٩٢٨ هـ

[٢١]– مخطوطات أرقام " ٦-٧-٨-٩-١٠ " عربى، مكتبة دير سانت كاترين

[٢٢]– شقير: تاريخ سيناء، ص ٥٣٠

[٢٣]– مخطوطات أرقام " ١١-١٢-١٣-١٤-١٥-١٦" عربى، مكتبة دير سانت كاترين

٢٤- Kraack، Detlev(٢٠٠١): "Chivalrous adventures، Religion ardour and curiosity at the outer periphery of the Medieval worled"، dans Le Sinai de la conquete a nosjours، InistitutFrancais d Archeologie Orientale،Pp٨٧- ٩٧

٢٥- Evans ،Helen C.(٢٠٠٤) : "Le Monastere de Saint- Catherine au Sinai (١٢٦١-١٥٥٧)"،Article in Tresors du Monastere Sainte- Catherine Mont Sinai Egypte، Fondation Pierre Gianadda، Suisse، PP٣٥:١٥١

٢٦ – مصطفى : التحف الاسلامية والمسيحية بدير سانت كاترين ، ص٨٥

٢٧ - Manafis،Konstantinos A(١٩٩٠):Sinai Treasures of the Monastery of Saint Catherine، EkdotikeAthenon،Greece، PP٢٣١-٢٤٢ ، Pp٢٦٣-٢٧٨

http://en.wikipedia.org/wiki/Alexander_II_Mircea

[٢٨]– مصطفى : التحف الإسلامية والمسيحية بدير سانت كاترين، ص١١٤

[٢٩]– مصطفى : التحف الإسلامية والمسيحية بدير سانت كاترين، ص١٩٠

[٣٠]– صبحى، حسن(١٩٦٤): "من مخطوطات دير سانت كاترين العلاقة بين الأعراب ورهبان الدير فى القرن السابع عشر" ، مجلة كلية الآداب جامعة الإسكندرية ، مجلد١٨ .

[٣١]– هسى،ج.م (١٩٨٤):العالم البيزنطى، ترجمة رافت عبد الحميد، دار المعارف، الطبعة الثالثة ، ص ص١٣٣-١٣٩